

كلمة تكريم

Leon Zelman Preis 2017

من منكم لم يسمع الأخبار الواردة من كابل وبغداد ودمشق؟!!

من منكم لم يرى التقارير عن قوارب اللاجئين المنقلبة والأناس الغارقين في البحر المتوسط؟!!

من منكم لم يتأثر بالأناس اليائسين الذين يحاولون عبور أوروبا في برد الشتاء القارص وحر الصيف اللاهب ، المطرودين من على الحدود والمكذسين في مخيمات اللجوء ، المنهكين ، المتضورين جوعاً ، اليائسين والمستضعفين ؟

من منكم لم يتجادل بهذا الشأن مع المعارف والأصدقاء والأقارب ؟ كلمة "أزمة اللاجئين" باتت على كل لسان . لم يشغل المجتمع الأوروبي أو يثيره أو يستقطبه قضية في الثلاث السنين الماضية مثل هذه القضية . البعض يحركه القلق والمخاوف من الأجنب ، والبعض الآخر مدفوع بخوفه وقلقه عليهم .

مئات البشر استطاعوا الهروب إلى أوروبا من الحرب والبؤس وكل ما فاق تصورنا من الولايات ، وهذا ما يستدعي منا النهوض بمسؤوليتنا الاجتماعية . وأيضاً أغلب أقاربهم وأصدقائهم ومعارفهم وملايين البشر الذين لم يتمكنوا من الهرب وبالأخص في سوريا والعراق وأفغانستان الذين لا يزالون تحت وطئة الإرهاب اليومي والعنف الوحشي والمعاناة الهائلة ، هؤلاء أيضاً يستدعون مسؤولية السياسة الخارجية الأوروبية . في يوم من الأيام سٌحاسب جيلنا ويُنظر كيف تعاملنا مع هذه التحديات ، ولن يكون بمقدور أحدنا وقتها أن يقول لم أكن أعلم شيئاً عن الأمر .

نكرم اليوم مؤسسات *Shalom Alaikum* الدؤوبات والمثابرات منذ ما يقارب السنتين بالقيام بكل خدماتهم الشخصية والتطوعية بقصد المساعدة . يساعدن بشكل مباشر وشخصي عند الحاجة : بالطعام واللباس ، وفي معاملات الدوائر الحكومية ، وبالمشاكل العائلية والمشاكل المتعلقة بحق الإقامة والمشاكل الصحية . من البحث عن السكن وحتى دورات اللغة الألمانية يأخذن بأيدي الناس ليقدمن لهم ما يحتاجونه ويحثون عنه : وهو الترحاب في مجتمعنا . وعلى عامة الناس ليس فقط أن يتحملوا هذا الالتزام ، وإنما أيضاً أن يقدروه على أنه خدمة للديمقراطية .

ولكن *Shalom Alaikum* هي أكثر من ذلك : هي أيضاً من أجل تعاون الأديان مع بعضها البعض . اليوم وفي الوقت الذي نشهد فيه وعلى مستوى العالم مرة أخرى استغلالاً للدين من خلال السياسة ، وشعور المسلمين المتدينين في كل مكان أنهم عرضة للاشتباه وأنهم مشتركين مع المجرمين الذين يستغلون الإسلام من أجل غاياتهم من خلال حجج سخيفة وغير مبررة دينياً ويلوثون اسم الله بذلك ؛ وفي الوقت الذي يؤدي فيه هذا الاستغلال السياسي للدين إلى ابتعاد غير مبرر للأديان عن بعضها البعض واستغلال ذلك من قبل اليمينيين المتطرفين والشعبيين لتبرير خطاب كراهيتهم وخوفهم ؛ في هذا الوقت تقدّم *Shalom Alaikum* البرهان أن الأديان لا يجب أن تعتبر سبباً للمشكلة وإنما هي جزء من الحل . بهذا المعنى فإن اسم *Shalom Alaikum* هو بالفعل برنامج عمل .

سمّى النبي يشعيا هو مهمة الشعب اليهودي "أور لاغويم" ، ويعني النور للناس . أي أن نجلب النور إلى الظلام من خلال القدوة الصالحة . مبادرات مثل *Shalom Alaikum* هي بصيص الأمل في الوقت الذي

يُمتحن فيه المجتمع . وهي مُوازن مهم لنزعات اللامبالاة الأخلاقية ومصالح السياسة اللامبدئية التي نعيشها حالياً في كل المجتمعات الغربية .

كُتِبَ في منشورات "الوردة البيضاء" : "مَرَقُوا رداء اللامبالاة الذي وضعتموه على قلوبكم (...). إذا انتظر كلُّ منا حتى يبدأ الآخر ، فلن يبدأ أحدٌ إذاً". إن هذه الدعوة من المقاومة ضد النازية هي ليست مجرد كلمات لتوثيق المقاومة . هذه الكلمات ليست مرتبطة بحقبة محددة من الزمن فحسب ، وإنما تمتلك صلاحية شاملة لكل زمان ومكان ، حتى اليوم : فهي تصلح في الأنظمة الاستبدادية والديمقراطية ، في دولة العدل والقانون وفي دولة الظلم وغياب القانون . في الدول التي يغيب فيها القانون تحتاج قدر هائل من الشجاعة والاستعداد للمخاطرة بالحياة . ولكن أيضاً حتى في الدول التي يسود فيها القانون فإنه يُطلب الشجاعة ودعم المجتمع والكثير من المثالية ، ليس من أجل أن تبقى القيم والمبادئ مترددة على الشفاه فقط ، ولكن أيضاً من أجل أن تبقى مخلصين في تطبيقها والعمل بها .

"مَرَقُوا رداء اللامبالاة الذي وضعتموه على قلوبكم" . يجب علينا جميعاً ، كلُّ لنفسه ، أن يتفكّر بما تعنيه هذه الكلمات اليوم ، وبما تُلزمنا به . في كل الأحوال فإن المقاومة تعني في دولتنا دولة القانون : عدم غض النظر وعدم الصمت عند المعاناة الإنسانية والظلم الاجتماعي .

عندما يتعلق الموضوع "باللاجئين" فيتطلب الأمر اليوم شجاعة مواطنة للعمل من أجل حاجات هؤلاء الناس ورخائهم . فمن المحمول أن يُوصف الذين يساعدون اللاجئين بالسدج ومحدودي النظر من الذين هم في الحقيقة لا يختلفون عنهم ، ولكن لم يبقى أحد ممن التزموا في مساعدة اللاجئين إلا وتعرض مرةً لضغوط حقيقة وشتائم وخبث منظم ؛ من هنا فإننا نأمل أن تبقى الأغلبية الصامتة في البلاد على الحياد وأن تحسن الظن .

تواجه أوروبا أكبر تحدياتها المجتمعية والسياسية . وعلى مجتمعنا أن يثبت لنفسه ما إذا كانت المثل والقيم والمبادئ المصوغة بطريقة نظرية مجردة قد أخذت فعلاً بجدية . أو كما قالت أنجيلا ميركل سابقاً قبل عامين : "إذا فشلت أوروبا في قضية اللاجئين ، سيفسُد الالتزام بالحقوق المدنية العامة" .

"أحبُّ من حولك كما تحب نفسك" (التوراة ، سفر فاييكر 19:18) ، "لأنه مثلك" كما ورد حرفياً كمبدأ أخلاقي للديانة التوحيدية . ولكن في الحقيقة ليس من الصعب أبداً أن نحب من حولنا المماثلين لنا . من الأصعب بكثير أن نحب الغرباء الذين لديهم مظهر ولغة وثقافة ودين مختلفين تماماً عن ما ألفناه وعرفناه . والتوراة يذكر هذا الواجب ليس مرة واحدة فقط ، وإنما يركز عليه في أكثر من 36 مرة : "يجب عليكم أيضاً أن تحبوا الغرباء ، لأنكم أنتم أيضاً كنتم كذلك في مصر" .

بهذا المعنى : شالوم عليكم ، وأليخم السلام !